

٢ - تيموستوكل

للأستاذ محمد الشيبات أيوب

مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب



كان اليونان إذن مهددين في عام ٤٨٠ ق . م إذ علموا أن أجزيسيس سير جيشه الجرار من قلب آسيا الصغرى وأسطوله للضخم عازباً للسواحل الآسيوية والأوربية المحيطة بمضيق الهيلسبوننت لغزو بلاد اليونان ، طامعاً في أن يقوم بما لم يستطع أن يقوم به أبوه من قبل وهو الانتقام من أثينا بل وإخضاع بلاد اليونان عامة ، فما كان عقله يصدق أن بلاداً صغيرة كبلاد اليونان تجرؤ على أن تقف في وجه أعظم أهل على وجه البسيطة حينذاك وهي على ما هي عليه من فرقة وانقسام وتباين واختلاف

وقد اختلف المؤرخون للتقدماء والمحدثون في تقدير عدد الجيوش الفارسية واليونانية ، ولكنهم إن اختلفوا في هذا التقدير نجدهم يجمعون على أن جيش أجزيسيس كان عظيم العدد جداً ، وعلى أن جيش اليونان كان دونه بكثير

جاء الفرس بهذه الجيوش الضخمة ووصلوا إلى شمال بلاد اليونان بعد أن عبروا ما عبروا من بحار ، وجابوا ما جابوا من سهول ووديان ، وتسلقوا ما تسلقوا من تلال وجبال ، وهم واقفون كل اللقطة أنهم لا بد قالبون هذا الشعب بل هذه الشعوب الإغريقية المختلفة على أسرها مقاسرين على انقسام اليونان وضعف اليونان وفقر اليونان ، وقد فاب عنهم أن اليونان كانوا يعرفون بلادهم تمام المعرفة ويتقنون بقوادم الذين سيقدونهم إلى النصر لأنهم يدافعون عن أعز شيء في الحياة وهو الحرية والاستقلال وكان تيموستوكل على علم بحركات الفرس كلها . لذلك أعد بلاده خير إعداد ، وجهزها بما كانت تحتاج إليه من وسائل الدفاع كبناء الأسوار والجدران ، ومن وسائل الهجوم كالسفن التي عمل على بنائها لتكون الأسطول مما جعله يصمد أمام الأعداء ولا يتزعزع أمام هذه الغزوة الجريئة

ويعمل اليونان على توحيد الصفوف والاستعداد للملاقاة الأعداء فيمقدون مؤتمراً هو مؤتمر الجامعة اليونانية الثاني

(في أوائل ربيع عام ٤٨٠ ق . م) وفيه يقرون إرسال حملة للدفاع عن وادي ثمي في الشمال بمد أن وعدم سكان تلك الجهة بهندل المونة والمساعدة لهم ، وسارت الحملة عن طريق البحر وعلى رأسها قائد أسبرطى يساعده في القيادة آخر أثيني هو صاحبنا تيموستوكل ، ووصلت هذه الحملة إلى تلك الجهة ولكنها لم تجد مونة ولا مساعدة فرجعت بخن حنين

ويتفق اليونان أيضاً في هذا المؤتمر على تنظيم خطوط دفاعهم فيجملونها أربماً . الأول عند وادي ثمي للسابق الذكر ، والثاني عند الترموبيل ، والثالث عند وسط اليونان (بيوسبا وأثيكا) والرابع عند برزخ كورنث ويقرون للتراجع عن الخط الأول إلى الخط الثاني وعن الخط الثاني إلى الخط الثالث وهكذا حتى الخط الرابع إذا لم يستطعوا الاحتفاظ بأي خط من هذه الخطوط وهم لم يستطعوا الاحتفاظ بخط دفاعهم الأول على نحو ما رأينا منذ حين ، لذلك ترام يقرون ، عند ما علموا بخبر زحف الفرس إلى أواسط بلاد اليونان ، الوقوف عند خط الدفاع الثاني أي عند أراض الترموبيل برآ ، وعند رأس « الأرتيميزيون » بحرآ ، والنقطنان تكمل كل منهما الأخرى ؛ ويوجهون نحو الأولى حملة برية بقيادة الملك الإسبرطى الشهير ليونيداس ، ونحو الثانية أسطولاً بقيادة رجل اسبرطى هو إريبياد ويساعده في القيادة تيموستوكل . وقد تلاقى الجيشان جيش الفرس وجيش اليونان عند الترموبيل ، وكان ما كان من أمر هذه المزية الساحقة التي منى بها ليونيداس وأتباعه ، حيث أييد اليونان كلهم عن بكرة أبيهم في هذا المكان الضيق بمد أن أظهروا من الشجاعة ما خلد اسمهم على صفحات التاريخ — أما عند النقطة الثانية فقد التحم الأسطولان ، والأسطول اليوناني كامل العدد والعدد ، أما الأسطول الفارسي فقد هبت عليه زوبية قبل معركة « الأرتيميزيون » ودمرت ما يقرب من ثلثه تقريباً ، لذلك لقي الأسطول اليوناني نجاحاً بادي الأمل ، ولكنه لم يستطع أن يصمد أمام حركة تطويق قام بها جزء من الأسطول الفارسي نحو الجنوب إذ أراد الالتفاف حول جزيرة أبوبيا ليأخذ الأسطول اليوناني على غرة من الخلف ، ولحسن حظ هذا الأسطول تجده يتمكن من الإفلات والنجاة من هذا المأزق

الخرج فيرجع عند خط الدفاع الثالث أى عند وسط بلاد اليونان ، وقد دهش الفرس عند ما رأوا الأسطول اليونانى يتراجع بمد هذا للنجاح لنفسى ابنى ناله ، ولكن اليونان فهموا أن هزيمة جيشهم فى قترمو بيل قد قضت على خطتهم الدفاعية وجملتهم يخافون على قوتهم من القضاء ، من أجل هذا تراجعوا نحو الجنوب لأن هذه هى الفرصة الوحيدة لإنقاذ جيشهم والاحتفاظ به للمستقبل .

من هذا يتبين أنه لم يكن لثيموستوكل موقف ظاهر واضح فى هذه المارك وعلى الأخص فى الحملة للبرية الأولى عند أرض نبي ، وفى الحملة للبحرية الأولى عند رأس الأريثيميزيون ، ولكنه بالرغم من ذلك موقف عظيم الخطر والأهمية ، لأنه كان هو الروح التى يبعث فى الجيش الحمية والجاس ، وفى الأسطول الرغبة والإقدام على الهجوم ، إذ كان يقف إلى جانب القائد الإمبرطى موقف المرشد الناصح الأمين الذى يجعل مصلحة بلاده فوق أى اعتبار . وكان هذا للقائد الإمبرطى يوافق على آرائه بالرغم مما فيها من خطورة وجراة ؛ لأنه كان يتضح دائماً بالهجوم ، سائراً على هذا البدأ الذى أخذ به نابليون من بعده وهو « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ؛ وكان إسمه للنام بحالة الفرس وبحالة اليونان خير مشجع له للإقدام على الهجوم ؛ فهو يعلم أن اليونان أقلية فى العدد بالنسبة للفرس — ولكنهم أكثرية فى نواح أخرى — إذ كانوا أكثر تجانساً من أعدائهم ، (فلم يكن بينهم نفر من الأجانب ، على حين أن جيش الفرس يتكون فى أغليته من أفراد للشعوب للمدينة الخاضعة لهم) وأكثر اتفاقاً فيما بينهم ، فهم يحاربون بطوعهم واختيارهم لأن مثلهم الأعلى هو المحافظة على استقلال بلادهم وإحاطة حريتهم وحرية بيوتهم وعائلاتهم وأراضيهم ببيعاج من المنعة والقوة . أما الفرس أعدائهم فإنهم يسيرون بالسياط ويحاربون مجبرين ، لا لتحقيق مثل أعلى وإنما تنفيذاً لرغبة جاهل جبار استحوذ للظفيان منه على فؤاده واستولى للكبر على قلبه وعقله حتى شبه نفسه بالآلهة ، فساق هذه الجموع الزاخرة سوق الأنعام والماشية . ثم إن اليونان بمد هذا وذاك يفوقون أعدائهم فى الأسلحة التى كانوا مجهزين بها وفى القيادة التى كانوا يخضعون

لها . وإلى جانب ذلك كله كان ثيموستوكل على علم تام بحركات الأعداء ، يوقفه عليها هؤلاء الجواسيس وثقلة الأخبار الذين كان بينهم بين أعدائه مثل هذا الملاح الماهر سكيلياس الذى أنى له بمعلومات عن الأعداء قبل موقعة الأريثيميزيون ؛ فأوقفه على ضعف الروح المعنوية فيهم ، وعلى انعدام المثل الأعلى بينهم ، وعلى عدم الانسجام بين وحداتهم المختلفة ، وعلى التناقض بين عساكر الجيش والأسطول الذين هم من عناصر جنسية مختلفة ، وكذلك على الكوارث التى أصابت الأسطول الفارسى كهذه الزوبعة التى هبت عليه قبل الأريثيميزيون فدحزت أربابها سفينة

ثم يتابع أجزيس سيره نحو الجنوب حتى يصل إلى أواسط بلاد اليونان ، وهو لا يحجم عن تخريب ما يلاقه فى طريقه من قرى ومدن ، ولا يتردد عن انتهاك حرمة المابد والأراضى المقدسة ، ولا يتأخر عن تدمير ما يقابله من محاصيل زراعية أو تماثيل للآلهة ، حتى أتى الدهر فى قلوب بعض اليونان ، فحضت له للبلاد اليونانية الرسمى والشهالية ماعدا مقاطعة أثينا . وكان من الأشياء المقررة عند اليونان أن يقف الجيش اليونانى عند الجبال التى تفصل بين مقاطعتى أثينا وبيوسيا للدفاع عن المقاطعة الأولى ، ولكن هذا الجيش تراجع حتى برزخ كورنت ووقف هناك ينتظر ما سيجابه من حوادث . أما الأسطول فكان هو الآخر مصوباً وجهته نحو الجنوب ، وقائده الاسبرطى يريد به للتراجع نحو شبه جزيرة البيلوبونيز للدفاع عنها ، ونحن لا ننسى أن هذا للقائد ، وهو إريباد ، اسبرطى يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار ؛ ولكن ثيموستوكل يتمكن بمفريقته وبشخصيته القوية من أن يقف فى وجه هذا للقائد حتى يتغلب عليه ويوجه الأسطول كما يريد هو لا كما يريد هذا للقائد فينتجح فى تلك اللحظة الرهيبية فى حمل اليونان على اتخاذ قرار خطير ، ذلك هو للقرار للقاضى بأن يقف الأسطول اليونانى عند جزيرة سلامين ، من أجل هذا رأى اليونان أنهم مجبرون بمد هذا للقرار الجديد على أن رسموا خطة جديدة تضمن للتماون بين الجيش والأسطول للدفاع عن بلادهم وصد الغزاة